الإسلام في القرآن الكريم دراسة دلالية في تفسير الميزان

أ.م.د.إياد محمّد عليّ الأرناؤوطيّ
كلّيّة التّربية ابن رشد/ جامعة بغداد

م.د. ضياء فاخر جبر
كلّيّة التّربية ابن رشد/ جامعة بغداد

(مُلَخَّصُ البَحث)

الإسلام هو الدخول في السِّلم وقد اختصّ بالإذعان، بإلهيّته تعالى ورسالة خاتم النبيين (ﷺ) وشريعته وقرآنه المساوق للإيمان بالقلب والعمل بالجوارح والأركان، فيكون العمل بالدِّين إبقاءً للدين وإعلاءً لكلمة التوحيد، وجهادًا مع الملحدين.

وللإسلام درجات، أعلاها ما كان عليه إبراهيم (عليه السلام)، وأدناها ما عليه عامّة المسلمين، يحفظون بها دماءهم وأموالهم مع ما عليه بعضهم من الفسق والشقاء.

وقد وضح العلامة الطباطبائي معنى الإسلام الواحد بأن الدين عند الله سبحانه واحد لا اختلاف فيه لم يأمر عباده إلا به، ولم يبين لهم فيما أنزله من الكتاب على أنبيائه إلا إياه ولم ينصب الآيات الدالة إلا لهو هو الإسلام الذي هو التسليم للحق الذي هو حق الاعتقاد وحق العمل وبعبارة أخرى هو التسليم للبيان الصادر عن مقام الربوبية في المعارف والأحكام وهو وإن اختلف كما وكيفا في شرائع أنبيائه ورسله على ما يحكيه الله سبحانه في كتابه غير أنه ليس في الحقيقة إلا أمرا واحدا وإنما اختلاف الشرائع بالكمال والنقص دون التضاد والتنافي والتفاضل بينها بالدرجات ويجمع الجميع أنها تسليم وإطاعة لله سبحانه فيما يريده من عباده على لسان رسله.

أولاً : الإسلام لغة :

قال الجوهري: "والسِلم بالكسر: السلام.... والسلم: الصلح، يفتح، ويكسر، ويذكر ويؤنث. والسِلم: المسالم. تقول: أنا سِلم لمن سالمني.... والسلامة: البراءة من العيوب... وتقول: سلم فلان من الآفات سلامة، وسلمه الله سبحانه منها.... والتسليم: بذل الرضا بالحكم. وأسلم أمره إلى الله، أي سلم. وأسلم، أي دخل في السلم، هو الاستسلام. وأسلم من الإسلام"[١].

ونقل الزبيدي عن السهيلي قوله: "وتسمى جل جلاله بالسلام لما شمل جميع الخليقة وعمهم بالسلامة من الاختلال والتفاوت؛ إذ الكل جار على نظام الحكمة، وكذلك سلم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه وتعالى، فهو في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال، ومن زعم من المفسرين لهذا

الاسم أنه تسمى به لسلامته من العيوب والآفات فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلام من سلم منه، والسالم من سلم من غيره"[٢].

مما مر يتضح أن مادة (سلم) تدل على الخلو من الآفات والعيوب، وأن الفعل (أسلم) تحتمل زيادة الهمزة فيه أحد معنيين:

الأول: التعدية، الذي هو أشهر معاني (أفعلَ)، تجعل هذه الهمزة الفعل اللازم متعدّيًا، والمتعدّي إلى مفعول واحد متعدّيًا إلى مفعولين، والمتعدّي إلى مفعولين متعدّيًا إلى ثلاثة مفاعيل[٣]، وقد جعلت الهمزة هذا الفعل اللازم متعديا إلى مفعول واحد. قال تعالى: **(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)**[٤] .

والثاني: الدخول المعنوي، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)**[٥].

وذكر الرازي للهمزة المزيدة معنيين محتملين هما الصيرورة والدخول[٦]، ولا يبدو الفرق بينهما كبيرا.

ثانيًا : الإسلام في القرآن الكريم :

١ ـ ورد المصدر (إسلام) في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

قوله تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**[٧].

وقوله تعالى: **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**[٨].

وقوله تعالى:**(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً)**[٩].

وقوله تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإسلام وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[١٠].

٢ ـ ورد الفعل (أسلم) في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

قوله تعالى: **(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**[١١] .

قوله تعالى: **(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**[١٢] .

قولـه تعـالى: **(أَفَغَيْـرَ دِيـنِ اللهِ يَبْغُـونَ وَلَـهُ أَسْـلَمَ مَـن فِـي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعـاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)**[١٣].

وقولـه تعـالى: **(وَمَـنْ أَحْسَـنُ دِينـاً مِّمَّـنْ أَسْـلَمَ وَجْهَـهُ لله وَهُـوَ مُحْسِـنٌ واتَّبَـعَ مِلَّـةَ إبـراهيم حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خَلِيلاً)**[١٤] .

وقولـه تعـالى: **(قُـلْ إِنِّـي نُهِيـتُ أَنْ أَعْبُـدَ الَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِـن دُونِ اللَّهِ لَمَّـا جَـاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**[١٥] .

وقولـه تعـالى: **(وَأَنَّـا مِنَّـا الْمُسْـلِمُونَ وَمِنَّـا الْقَاسِـطُونَ فَمَـنْ أَسْـلَمَ فَأُوْلَئِـكَ تَحَـرَّوْا رَشَداً)**[١٦] .

وفـي أمـر الرسـول الأعظـم (ص) بـأن يكـون أول مـن أسـلم، فـي قولـه تعـالى: **(قُـلْ أَغَيْـرَ اللهِ أَتَّخِـذُ وَلِيّـاً فَـاطِرِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُـوَ يُطْعِـمُ وَلاَ يُطْعَـمُ قُـلْ إِنِّـيَ أُمِـرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**[١٧].

٣ ـ وردت صيغة اسم الفاعل (مُسلِم):

أ ـ مفردة بصيغة المذكر في المواضع الآتية:

فـي الكـلام علـى النبـي إبـراهيم (عليـه السـلام): **(مَـا كَـانَ إبـراهيم يَهُودِيّـاً وَلاَ نَصْـرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**[١٨] .

وفـي دعـاء النبـي يوسـف (عليـه السـلام): **(رَبِّ قَـدْ آتَيْتَنِـي مِـنَ الْمُلْـكِ وَعَلَّمْتَنِـي مِـن تَأْوِيـلِ الأَحَادِيـثِ فَـاطِرَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنـتَ وَلِيِّـي فِـي الـدُّنُيَا وَالآخِـرَةِ تَـوَفَّنِي مُسْـلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)**[١٩] .

ب ـــ مفـردة بصـيغة المؤنـث وصـفا للأمـة فـي قولـه تعـالى علـى لسـان نبيـه إبـراهيم (عليـه السـلام): **(رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَـا مُسْـلِمَيْنِ لَـكَ وَمِـن ذُرِّيَّتِنَـا أُمَّـةً مُّسْـلِمَةً لَّـكَ وَأَرِنَـا مَنَاسِـكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**[٢٠] .

ت ـ بصيغة المثنى مرة واحدة في القرآن الكريم في الآية السابقة.

ث ـ بصيغة الجمع في المواضع الآتية:

علـى لسـان فرعـون: **(وَجَاوَزْنَـا بِبَنِـي إِسْـرَائِيلَ الْبَحْـرَ فَـأَتْبَعَهُمْ فِرْعَـوْنُ وَجُنُـودُهُ بَغْيـاً وَعَـدْواً حَتَّـى إِذَا أَدْرَكَـهُ الْغَـرَقُ قَـالَ آمَنـتُ أَنَّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّـذِي آمَنَـتْ بِـهِ بَنُـو إِسْـرَائِيلَ وَأَنَـا مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ)**[٢١] وعلـى لسـان النبـي نـوح (عليـه السـلام): **(فَـإِن تَـوَلَّيْتُمْ فَمَـا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[٢٢] .

ووصفا للأمـة الإسـلامية: **(وَجَاهِـدُوا فِـي اللَّهِ حَـقَّ جِهَـادِهِ هُـوَ اجْتَبَـاكُمْ وَمَـا جَعَـلَ عَلَـيْكُمْ فِـي الـدِّينِ مِـنْ حَـرَجٍ مِّلَّـةَ أَبِـيكُمْ إبـراهيم هُـوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْـلِمِينَ مِـن قَبْـلُ وَفِـي هَـذَا**

لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[٢٣] .

وفي أمر الرسول الأعظم (ﷺ) بأن يكون أول المسلمين في قوله تعالى: **(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)**[٢٤].

وفي أمر الرسول الأعظم (ﷺ) بأن يكون من المسلمين في قوله تعالى: **(إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[٢٥]، وفي قوله تعالى: **(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)**[٢٦].

ووردت عامة في الآيات الآتية:

قوله تعالى: **(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ)**[٢٧] .

وقوله تعالى: **(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)**[٢٨] .

وقوله تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[٢٩] .

وقوله تعالى: **(وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[٣٠] .

وقوله تعالى: **(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)**[٣١] .

وقوله تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ)**[٣٢] .

ثالثًا : دين الله الإسلام :

يفيد الزمخشري من الدلالة السياقية ليقرر أن الإسلام في القرآن الكريم هو العدل والتوحيد، ففي تفسير قوله تعالى: **(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ**

اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[٣٣] قال: " **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام)** جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ توحيد، وقوله: **(قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ)** تعديل، فإذا أردفه قوله: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام)** فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام "[٣٤] .

يقول الطاهر بن عاشور "والإسلام علم بالغلبة على مجموع الدّين الذي جاء به محمد (صلّى الله عليه وسلم)، كما أطلق على ذلك الإيمان أيضا، ولذلك لقب أتباع هذا الدين بالمسلمين وبالمؤمنين، وهو الإطلاق المراد هنا، وهو تسمية بمصدر أسلم إذا أذعن ولم يعاند إذعانا عن اعتراف بحق لا عن عجز، وهذا اللقب أولى بالإطلاق على هذا الدين من لقب الإيمان لأنّ الإسلام هو المظهر البين لمتابعة الرسول فيما جاء به من الحق، واطّراح كل حائل يحول دون ذلك، بخلاف الإيمان فإنّه اعتقاد قلبي، ولذلك قال الله تعالى: **(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)** [الحج:٧٨] وقال: **(فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ)** [آل عمران:٢٠] ولأنّ الإسلام لا يكون إلّا عن اعتقاد لأنّ الفعل أثر الإدراك، بخلاف العكس فقد يكون الاعتقاد مع المكابرة.

وربما أطلق الإسلام على خصوص الأعمال والإيمان على الاعتقاد، وهو إطلاق مناسب لحالتي التفكيك بين الأمرين في الواقع، كما في قوله تعالى، خطابا لقوم أسلموا متردّدين- **(قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)** [الحجرات:١٤]، أو التفكيك في تصوير الماهية عند التعليم لحقائق المعاني الشرعية أو اللغوية كما وقع في حديث جبريل: من ذكر معنى الإيمان، والإسلام، والإحسان"[٣٥] .

في تفسير قوله تعالى: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ)**[٣٦]، قال العلامة الطباطبائي معرفا الإسلام: "من البديهي أن الإسلام على ما تداول بيننا من لفظه، ويتبادر إلى أذهاننا من معناه أول مراتب العبودية، وبه يمتاز المنتحل من غيره، وهو الأخذ بظاهر الاعتقادات والأعمال الدينية، أعم من الإيمان والنفاق"[٣٧] .

وفرّق العلامة الطباطبائي بين مفهومين للإسلام، فقال: "وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى: **(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ)** إلى آخر الآيتين[٣٨] رسول الله

(ﷺ) بناء على ما روي في سبب النزول وحاصله أن أبا رافع القرظي ورجلا من نصارى نجران قالا لرسول الله (ﷺ) أ تريد أن نعبدك يا محمد؟ فأنزل الله **(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ)** إلى آخر الآيتين الحديث ثم أيده بقوله في آخرهما بعد إذ أنتم مسلمون، فإن الإسلام هو الدين الذي جاء به محمد (ﷺ). وفيه أنه خلط بين الإسلام في عرف القرآن وهو دين التوحيد الذي بعث به جميع الأنبياء وبين الإسلام بالاصطلاح الحادث بين المسلمين بعد عصر النزول"[٣٩] .

ولكن أهذا هو الإسلام الذي سأله النبي إبراهيم (عليه السلام) لنفسه وذريته؟ يجيب العلامة مفيدا من سياق من جرى على لسانه الدعاء، فيقول: "وإبراهيم (عليه السلام) – وهو النبي الرسول أحد الخمسة أولي العزم، صاحب الملة الحنيفية – أجل من أن يتصور في حقه أن لا يكون قد ناله إلى هذا الحين، وكذا ابنه إسماعيل رسول الله وذبيحه، أو يكونا قد نالاه ولكن لم يعلما بذلك، أو يكونا علما بذلك وأرادا البقاء على ذلك، وهما في ما هما فيه من القربى والزلفى، والمقام مقام الدعوة عند بناء البيت المحرم، وهما أعلم بمن يسألانه، وأنه من هو، وما شأنه، على أن هذا الإسلام من الأمور الاختيارية التي يتعلق بها الأمر والنهي كما قال تعالى: **(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**[٤٠]، ولا معنى لنسبة ما هو كذلك إلى الله سبحانه أو مسألة ما هو فعل اختياري للإنسان من حيث هو كذلك من غير عناية يصح معها ذلك. فهذا الإسلام المسؤول غير ما هو المتداول المتبادر عندنا منه، فإن الإسلام مراتب والدليل على أنه ذو مراتب قوله تعالى: **(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ الآية)** حيث يأمرهم إبراهيم بالإسلام وقد كان مسلما، فالمراد بهذا الإسلام المطلوب غير ما كان عنده من الإسلام الموجود"[٤١] .

وعرف العلامة الإسلام الذي سأله إبراهيم لنفسه وذريته، بأنه: "تمام العبودية وتسليم العبد كل ما له إلى ربه"[٤٢] غير المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)**[٤٣]، بل معنى أرقى وأعلى منه"[٤٤]. ولكن ما معنى سؤال إبراهيم ذلك وهو أمر اختياري يعود إلى الإنسان نفسه؟ أجاب العلامة معللا برفعة مقام هذا الإسلام، فيقول: "وهو إن كان معنى اختياريا للإنسان من طريق مقدماته إلا أنه إذا أضيف إلى الإنسان العادي وحاله القلبي المتعارف كان غير اختياري بمعنى كونه غير ممكن النيل له – وحاله حاله – كسائر مقامات الولاية ومراحله العالية، وكسائر معارج الكمال البعيدة عن حال الإنسان المتعارف المتوسط الحال بواسطة مقدماته الشاقة، ولهذا يمكن إن يعد

أمرا إلهيا خارجا عن اختيار الإنسان، ويسأل من الله سبحانه أن يفيض به، وأن يجعل الإنسان متصفا به"[٤٥].

وعاد العلامة ليجيب عن السؤال من وجه آخر أدق، فيقول: "الذي ينسب إلى الإنسان ويعد اختياريا له، هو الأفعال، وأما الصفات والملكات الحاصلة من تكرر صدورها، فليست اختيارية بحسب الحقيقة، فمن الجائز أو الواجب أن ينسب إليه تعالى، وخاصة إذا كانت من الحسنات والخيرات التي نسبتها إليه تعالى، أولى من نسبتها إلى الإنسان، وعلى ذلك جرى ديدن القرآن، كما في قوله تعالى: **(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي)**[٤٦] "[٤٧].

ويجيب العلامة عن سؤال مرتقب آخر مفيدا من سياق المقام، فيقول: "فان قلت: كل ما ذكر من معنى الإسلام وإرادة المناسك والتوبة مما يليق بشأن إبراهيم وإسماعيل (عليه السلام)، لا يلزم أن يكون هو مراده في حق ذريته فإنه لم يشرك ذريته معه ومع ابنه إسماعيل إلا في دعوة الإسلام، وقد سأل لهم الإسلام بلفظ آخر في جملة أخرى، فقال: **(وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ)** ولم يقل: واجعلنا ومن ذريتنا مسلمين، أو ما يؤدي معناه فما المانع أن يكون مراده من الإسلام ما يعم جميع مراتبه حتى ظاهر الإسلام؟ فإن الظاهر من الإسلام أيضا له آثار جميلة، وغايات نفيسة في المجتمع الإنساني، يصح أن يكون بذلك بغية لإبراهيم (عليه السلام) يطلبها من ربه كما كان كذلك عند النبي (ﷺ) حيث اكتفى (ﷺ) من الإسلام بظاهر الشهادتين الذي به يحقن الدماء، ويجوز التزويج، ويملك الميراث، وعلى هذا يكون المراد بالإسلام في قوله تعالى: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)**، ما يليق بشأن إبراهيم وإسماعيل، وفي قوله: **(وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ)** ما هو اللائق بشأن الأمة التي فيها المنافق، وضعيف الإيمان وقويه، والجميع مسلمون. قلت: مقام التشريع ومقام السؤال من الله مقامان مختلفان، لهما حكمان متغايران لا ينبغي أن يقاس أحدهما على الآخر، فما اكتفى به النبي (ﷺ) من أمته بظاهر الشهادتين من الإسلام، إنما هو لحكمة توسعة الشوكة والحفظ لظاهر النظام الصالح، ليكون ذلك كالقشر يحفظ به اللب الذي هو حقيقة الإسلام، ويصان به عن مصادمة الآفات الطارئة. وأما مقام الدعاء والسؤال من الله سبحانه فالسلطة فيها للحقائق والغرض متعلق هناك بحق الأمر، وصريح القرب والزلفى ولا هوى للأنبياء في الظاهر من جهة ما هو ظاهر ولا هوى لإبراهيم (عليه السلام) في ذريته ولو كان له هوى لبدأ فيه لأبيه قبل ذريته ولم يتبرأ منه لما تبين أنه عدو لله،

ولم يقل في ما حكى الله من دعائه **(وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)**[٤٨]، ولم يقل **(وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)**[٤٩]، بل اكتفى بلسان ذكر في الآخرين إلى غير ذلك. فليس الإسلام الذي سأله لذريته إلا حقيقة الإسلام، وفي قوله تعالى: أمة مسلمة لك، إشارة إلى ذلك فلو كان المراد مجرد صدق اسم الإسلام على الذرية لقيل: أمة مسلمة، وحذف قوله: لك هذا"[٥٠].

قال السيد عبد الأعلى السبزواري : "ومادة "سلم" من المواد المحبوبة والممدوحة في أيّة هيئة استُعملت، وتأتي بمعنى التعرّي عن العيوب والآفات الظاهريّة والباطنيّة، ويقال للجنّة: "دار السلام"، لأنّها دار الإسلام عن العيوب والآفات، ومن أسمائه سبحانه وتعالى: "السلام"، لأنّه لا يتصّف به الخلق من العيب والفناء أو الحوادث[٥١].

وتأتي بمعنى الانقياد والطاعة والعبوديّة التي تكون حقيقتها الخضوع والانقياد للمعبود، فتكون كلّ عبوديّة وطاعة لله عزّ وجلّ إسلامًا، وكلّ إسلام له عزّ وجلّ عبوديّة له، سواء كانت في القول واللسان، أم في القلب، أم في العمل، أم في الجميع... وقد اختصّ لفظ (الإسلام)، بالغلبة في رسالة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) وشريعته التي تناسب جميع ما ذكر في معنى الإسلام، ... والمعنى أنّ كلّ دين سماوي تكون فيه العبوديّة لله تعالى يكون إسلامًا له عزّ وجلّ، وهو واحد لا اختلاف فيه، وأنّ حقيقة الطاعة لله عزّ وجلّ والانقياد له تعالى، وهي روح جميع الأديان الإلهيّة والشرائع السماويّة التي نزلت على الأنبياء، فيكون الإسلام الحقيقي هو الإذعان والانقياد المساوق للإيمان بالقلب والعمل بالجوارح والأركان، فيكون العمل بالدِّين إبقاءً للدين وإعلاءً لكلمة التوحيد، وجهادًا مع الملحدين"[٥٢] .

وقال أيضًا: "يدل قوله تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام)** ، على انّه لابدّ للإنسان من منهج في حياته، وهو الذي يتكفّل جميع جهاته التكوينيّة والتشريعيّة ولا يمكن التخطّي والإعراض عنه، وأنه لابدّ من الخضوع والانقياد لله تعالى الذي هو رأس كلّ كمال"[٥٣] .

رابعًا : الإسلام والإيمان :

فرّق الزمخشري بين الإيمان والإسلام، فقال: " الإيمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إلى قوله تعالى – ولما يدخل الإيمان في قلوبكم –

فأعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان.

فإن قلت: ما وجه قوله تعالى: **(قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)** والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال: قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم ؟ قلت: أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل: قل لم تؤمنوا، وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم، ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين – أولئك هم الصادقون – تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون، ورب تعريض لا يقاومه التصريح، واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنوا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان، ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى، ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك، ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به.

فإن قلت: قوله: **(وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)** بعد قوله تعالى: **(قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا)** يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة. قلت: ليس كذلك، فإن فائدة قوله: **(قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا)** هو تكذيب دعواهم، وقوله: **(وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)** توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم: ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم، لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا، وما في لما من معنى"[٥٤] .

قرر الطبرسي أن الإسلام والإيمان واحد فيقول: "الإسلام هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والإقرار بجميع ما أوجب الله، وهو والإيمان واحد عندنا وعند المعتزلة. وفي الناس من قال بينهما فرق، ويبطله قوله سبحانه: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام)**[٥٥] وقوله :**(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)**[٥٦] "[٥٧].

ثم يقول الطبرسي: "واختلف في أنه متى قيل له ذلك، فقال الحسن: كان هذا حين أفلت الشمس، ورأى إبراهيم تلك الآيات والأدلة، فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال: **(قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)** الآية، وأنه أسلم حينئذ. وهذا يدل على أنه كان ذلك قبل النبوة، وأنه قال له ذلك إلهاما استدعاء منه إلى الإسلام، فأسلم حينئذ لما وضح له طريق

الاستدلال بما رأى من الآيات. ولا يصح أن يوحي الله إليه قبل إسلامه بأنه نبي الله، لأن النبوة حال إجلال وإعظام، ولا يكون ذلك قبل الإسلام. وقال ابن عباس: إنما قال ذلك إبراهيم (عليه السلام) حين خرج من السرب.

وقيل: إنما قال ذلك بعد النبوة، ومعنى أسلم استقم على الإسلام، وأثبت على التوحيد، كقوله سبحانه **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**.

وقيل: إن معنى أسلم أخلص دينك بالتوحيد. وقوله: **(قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** أي: أخلصت الدين لله رب العالمين"[٥٨].

وبعدم التفريق قال الرازي، وأردف: " فإن قيل: قوله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)**[٥٩] هذا صريح في أن الإسلام مغاير للإيمان. قلنا: الإسلام عبارة عن الانقياد في أصل اللغة على ما بينا، والمنافقون انقادوا في الظاهر من خوف السيف، فلا جرم كان الإسلام حاصلا في حكم الظاهر، والإيمان كان أيضا حاصلا في حكم الظاهر، لأنه تعالى قال: **(وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ)**[٦٠] والإيمان الذي يمكن إدارة الحكم عليه هو الإقرار الظاهر، فعلى هذا، الإسلام والإيمان تارة يعتبران في الظاهر، وتارة في الحقيقة، والمنافق حصل له الإسلام الظاهر، ولم يحصل له الإسلام الباطن، لأن باطنه غير منقاد لدين الله، فكان تقدير الآية: لم تسلموا في القلب والباطن، ولكن قولوا: أسلمنا في الظاهر، والله أعلم"[٦١].

وفي موضع آخر من تفسيره، قال الرازي: "واعلم أن ظاهر هذه الآية يدل على أن الإيمان هو الإسلام، إذ لو كان الإيمان غير الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان مقبولا لقوله تعالى: **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)** إلا أن ظاهر قوله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)**[٦٢] يقتضي كون الإسلام مغايرا للإيمان ووجه التوفيق بينهما أن تحمل الآية الأولى على العرف الشرعي، والآية الثانية على الوضع اللغوي"[٦٣] .

ويضيف الرازي قائلا : " اختلفوا في أن الله تعالى متى قال له: أسلم ؟ ومنشأ الإشكال أنه إنما يقال له: أسلم في زمان لا يكون مسلما فيه، فهل كان إبراهيم (عليه السلام) غير مسلم في بعض الأزمنة ليقال له في ذلك الزمان أسلم ؟

فالأكثرون على أن الله تعالى إنما قال ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ، وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس، واطلاعه على أمارات الحدوث فيها، وإحاطته بافتقارها إلى مدبر يخالفها في الجسمية وأمارات الحدوث، فلما عرف ربه قال له

تعالى: **(أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**، لأنه لا يجوز أن يقول له ذلك قبل أن عرف ربه ، ويحتمل أيضا أن يكون قوله: **(أَسْلِمْ)** كان قبل الاستدلال، فيكون المراد من هذا القول لا نفس القول بل دلالة الدليل عليه على حسب مذاهب العرب في هذا كقول الشاعر من الرجز:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْني مهلا رويدا قد ملأتَ بطني [٦٤]

وأصدق دلالة منه قوله تعالى: **(أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ)**[٦٥] فجعل دلالة البرهان كلاما، ومن الناس من قال: هذا الأمر كان بعد النبوة، وقوله: **(أَسْلِمْ)** ليس المراد منه الإسلام والإيمان بل أمور أخر.

أحدها: الانقياد لأوامر الله تعالى، والمسارعة إلى تلقيها بالقبول، وترك الإعراض بالقلب واللسان، وهو المراد من قوله: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)**[٦٦] .

وثانيها: قال الأصم: **(أَسْلِمْ)** أي أخلص عبادتك واجعلها سليمة من الشرك وملاحظة الأغيار.

وثالثها: استقم على الإسلام وأثبت على التوحيد كقوله تعالى: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**[٦٧].

ورابعها: أن الإيمان صفة القلب والإسلام صفة الجوارح، وأن إبراهيم (عليه السلام) كان عارفا بالله تعالى بقلبه وكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح والأعضاء بقوله: **(أَسْلِمْ)**.

أما الآلوسي فنحا منحى آخر إذ قال: " وليس الأمر وما في جوابه على حقيقتهما، بل هو تمثيل، والمعنى: أخطر بباله الدلائل المؤيدة إلى المعرفة، واستدل بها وأذعن بمدلولاتها إلا أنه سبحانه وتعالى عبر عن ذلك بالقولين تصويرا لسرعة الانتقال بسرعة الإجابة، فهو إشارة إلى استدلاله (عليه السلام) بالكوكب والشمس والقمر واطلاعه على إمارات الحدوث على ما يشير إليه كلام الحسن وابن عباس من أن ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ.

ومن ذهب إلى أنه بعد النبوة قال: المراد الأمر بالطاعة والإذعان لجزئيات الأحكام والاستقامة والثبات على التوحيد على حد **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**[٦٨].

ولا يمكن الحمل على الحقيقة أعني إحداث الإسلام والإيمان لأن الأنبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها ولأنه لا يتصور الوحي والاستنباء قبل الإسلام، نعم إذا حمل الإسلام على العمل بالجوارح لا على معنى الإيمان أمكن الحمل على الحقيقة – كما قيل به – وفي الالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية

والإضافة إليه (عليه السلام) إظهار لمزيد اللطف به والاعتناء بتربيته، وإضافة الرب في الجواب إلى **(الْعَالَمِينَ)** للإيذان بكمال قوة إسلامه حيث أتقن حين النظر شمول ربوبيته تعالى للعالمين قاطبة لا لنفسه فقط كما هو المأمور به ظاهرا "[٦٩].

وخلص الآلوسي إلى القول بأنّ الإيمان في اللغة هو التصديق أي إذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقا ، وأما في الشرع فهو التصديق بما جاء به النبي محمد (ﷺ) به ووصفه بأنه مذهب جمهور المحققين لكنهم اختلفوا في أن مناط الأحكام الأخروية مجرد هذا المعنى أم مع الإقرار؟ فذهب الأشعري وأتباعه إلى أن مجرد هذا المعنى كافٍ، لأنه المقصود، والإقرار إنما هو ليعلم وجوده، فإنه أمر باطن ويجري عليه الأحكام، فمن صدق بقلبه وترك الإقرار مع تمكنه منه كان مؤمنا شرعا فيما بينه وبين الله تعالى[٧٠]. وعرّف الإسلام بما جاء عن قتادة: " شهادة أن لا إله إلا الله تعالى والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وهو دين الله تعالى الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياؤه لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به "[٧١] .

ولكن ما معنى الفعل (أسلم) عند المفسرين المأمور به النبي إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى: **(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**[٧٢] ؟

وفي تفسير قوله تعالى: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)** قال السيد محمد رشيد رضا "الْمُسْلِمُ وَالْمُسَلِّمُ وَالْمُسْتَسْلِمُ وَاحِدٌ وَهُوَ : الْمُنْقَادُ الْخَاضِعُ ، وَالْمُرَادُ بِالْكَلِمَةِ : مَا يَشْمَلُ التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ لِلَّهِ – تَعَالَى – فِي الِاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ جَمِيعًا ، وَمَعْنَى الْأَوَّلِ – أَيِ الْإِخْلَاصُ فِي الِاعْتِقَادِ – أَيْ لَا يَتَوَجَّهُ الْمُسْلِمُ بِقَلْبِهِ إِلَّا إِلَى اللهِ وَلَا يَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ فِيمَا وَرَاءَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا بِاللهِ ، وَمَعْنَى الثَّانِي : أَنْ يَقْصِدَ بِعَمَلِهِ مَرْضَاةَ اللهِ – تَعَالَى – لَا ابْتِبَاعَ الْهَوَى وَإِرْضَاءَ الشَّهْوَةِ ، وَإِنَّمَا يُرْضِيهِ – تَعَالَى – مِنَّا أَنْ نُزَكِّيَ نُفُوسَنَا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَنُرَقِّيَ عُقُولَنَا بِالِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ الْمُؤَيَّدِ بِالْبُرْهَانِ ، فَبِذَلِكَ نَكُونُ مَحِلَّ عِنَايَتِهِ – تَعَالَى – وَمُسْتَوْدَعَ مَعْرِفَتِهِ ، وَمَوْضِعَ كَرَامَتِهِ ، وَمَنْ يَقْصِدُ بِأَعْمَالِهِ إِرْضَاءَ لِشَهْوَتِهِ وَاتِّبَاعَ هَوَاهُ لَا يَزِيدُ نَفْسَهُ إِلَّا خُبْثًا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ بَعِيدًا عَنِ الإسلام"[٧٣] .

أما الطاهر بن عاشور فقال "خاطبه الله بوحي، وأمره بما تضمنه قوله: (أَسْلِمْ) من معاني جماعها التوحيد والبراءة من الحول والقوة وإخلاص الطاعة ... وقوله: قَالَ أَسْلَمْتُ مشعر بأنه بادر بالفور دون تريث كما اقتضاه وقوعه جوابًا "[٧٤] .

وقال:" والمراد بمسلمين لك، المنقادان إلى الله تعالى، إذ الإسلام الانقياد، ولما كان الانقياد للخالق بحق يشمل الإيمان بوجوده ، وأن لا يشرك في عبادته غيره ،

ومعرفة صفاته التي دل عليها فعله ، كانت حقيقة الإسلام ملازمة لحقيقة الإيمان والتوحيد، ... أما قوله تعالى: **(قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا)** [الحجرات:١٤] فإنه فكك بينهما ، لأن إسلامهم كان عن خوف لا عن اعتقاد، فالإيمان والإسلام متغايران مفهوما ، وبينهما عموم وخصوص وجهي في الماصدق، فالتوحيد في زمن الفترة إيمان لا يترقب منه انقياد، إذ الانقياد إنما يحصل بالأعمال، وانقياد المغلوب المكره إسلام لم ينشأ عن اعتقاد إيمان، إلا أن صورتي الانفراد في الإيمان والإسلام نادرتان"[٧٥].

ويعرّف الإسلام بقوله : "والإسلام علم بالغلبة على مجموع الدّين الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلم، كما أطلق على ذلك الإيمان أيضا، ولذلك لقب أتباع هذا الدين بالمسلمين وبالمؤمنين، وهو الإطلاق المراد هنا، وهو تسمية بمصدر أسلم إذا أذعن ولم يعاند إذعانا عن اعتراف بحق لا عن عجز، وهذا اللقب أولى بالإطلاق على هذا الدين من لقب الإيمان لأنّ الإسلام هو المظهر البين لمتابعة الرسول فيما جاء به من الحق، واطّراح كل حائل يحول دون ذلك، بخلاف الإيمان فإنّه اعتقاد قلبي، ولذلك قال الله تعالى: **(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)** [الحج:٧٨] وقال: **(فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ)** [آل عمران: ٢٠] ولأنّ الإسلام لا يكون إلّا عن اعتقاد لأنّ الفعل أثر الإدراك، بخلاف العكس فقد يكون الاعتقاد مع المكابرة.

وربما أطلق الإسلام على خصوص الأعمال والإيمان على الاعتقاد، وهو إطلاق مناسب لحالتي التفكيك بين الأمرين في الواقع، كما في قوله تعالى، خطابا لقوم أسلموا متردّدين- **(قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)** [الحجرات: ١٤]، أو التفكيك في تصوير الماهية عند التعليم لحقائق المعاني الشرعية أو اللغوية كما وقع في حديث جبريل: من ذكر معنى الإيمان، والإسلام، والإحسان"[٧٦] .

أما العلامة الطباطبائي ففرّق بين الإسلام والإيمان قائلا: " فالإسلام هو التسليم العملي للدين بإتيان عامة التكاليف والمسلمون والمسلمات هم المسلمون لذلك والإيمان هو عقد القلب على الدين، بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح والمؤمنون والمؤمنات هم الذين عقدوا قلوبهم على الدين بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح، فكل مؤمن مسلم ولا عكس"[٧٧].

ويفصّل أكثر في تفسير قوله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)**[٧٨]، فيقول: "الفرق بين الإيمان والإسلام بأن

الإيمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد، والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح فإنه: الاستسلام والخضوع لسانا بالشهادة على التوحيد والنبوة وعملا بالمتابعة العملية ظاهرا سواء قارن الاعتقاد بحقية ما شهد عليه وعمل به أو لم يقارن، وبظاهر الشهادتين تحقن الدماء وعليه تجري المناكح والمواريث"[٧٩] .

أما السيد السبزواري، فقد قال في تفسير قوله تعالى **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)** : "مادّة (سلم) تشتمل على معنى السلامة، ولها مراتب كثيرة جدًّا بين العيوب الظاهريّة والمعنويّة ــ الدنيويّة والأخرويّة ــ والقلبيّة، ولهذه المادّة استعمالات كثيرة في القرآن الكريم.

والإسلام هو الدخول في السِّلم ــ بكسر السين ــ وقد اختصّ بالإذعان، بإلهيّته تعالى ورسالة خاتم النبيين (ﷺ) وشريعته وقرآنه المساوق للإيمان.

وللإسلام درجات، أعلاها ما كان عليه إبراهيم (عليه السلام)، وأدناها ما عليه عامّة المسلمين، يحفظون بها دماءهم وأموالهم مع ما عليه بعضهم من الفسق والشقاء.

وقد جمع جملة من مراتبها نبيّنا الأعظم (ﷺ) في الحديث المعروف: "المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه"[٨٠]، فالإسلام الحقيقي مُظهِر(بضم الميم) الله في الأرض، والمسلم الواقعي مَظهَره (بالفتح) بين عباده.

ومعنى الآية المباركة ربّنا واجعلنا مخلصين لك في الاعتقاد والعمل، وثبّتنا على الإسلام بتوفيقك وهدايتك، وسؤال الإسلام لنفسه وخواص ذرّيته إنّما هو للثبات على مثل هذه المرتبة في الإسلام"[٨١] .

خامسًا : إسلام الأمم :

وفي تفسير قوله تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام)**[٨٢] ، قال الطبري : "ومعنى"الدين"، في هذا الموضع: الطاعة والذّلة، وإنَّ الطاعةَ التي هي الطاعة عنده، الطاعةُ له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذّلة، وانقيادُها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذلُّلها له بذلك، من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودة والألوهة ، والإسلام: شهادة أنّ لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودلّ عليه أولياءه، لا يقبل غيرَه ولا يجزى إلا به [٨٣].

وذهب القرطبي إلى أن معنى الدين في هذه الآية هو الطاعة والملة ، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات[٨٤].

أما العلامة الطباطبائي فقال موضحا معنى الإسلام الواحد: "المعنى إن الدين عند الله سبحانه واحد لا اختلاف فيه لم يأمر عباده إلا به ، ولم يبين لهم فيما أنزله من الكتاب على أنبيائه إلا إياه، ولم ينصب الآيات الدالة إلا له وهو الإسلام الذي هو التسليم للحق الذي هو حق الاعتقاد وحق العمل، وبعبارة أخرى هو التسليم للبيان الصادر عن مقام الربوبية في المعارف والأحكام وهو أن اختلف كما وكيفا في شرائع أنبيائه ورسله على ما يحكيه الله سبحانه في كتابه غير أنه ليس في الحقيقة إلا أمرا واحدا، وإنما اختلاف الشرائع بالكمال والنقص دون التضاد والتنافي والتفاضل بينها بالدرجات، ويجمع الجميع أنها تسليم وإطاعة لله سبحانه فيما يريده من عباده على لسان رسله"[٨٥] .

ويمضي العلامة قائلا:" المراد بكون الدين عند الله وحضوره لديه سبحانه هو الحضور التشريعي بمعنى كونه شرعا واحدا لا يختلف إلا بالدرجات، وبحسب استعدادات الأمم المختلفة دون كونه واحدا بحسب التكوين بمعنى كونه واحدا مودعا في الفطرة الإنسانية على وتيرة واحدة، وأن المراد بالآيات هو آيات الوحي، والبيانات الإلهية التي ألقاها إلى أنبيائه دون الآيات التكوينية الدالة على الوحدانية وما يزاملها من المعارف الإلهية " [٨٦] .

ويختم العلامة الطباطبائي بالقول : "إن الدين عند الله الإسلام لا يختلف فيه كتب الله ولا يرتاب فيه سليم العقل، ويتفرع عليه أن لا حجة عليك في إسلامك وأنت مسلم، فإن حاجوك في أمر الدين، فقل: أسلمت وجهي لله ومن اتبعن فهذا هو الدين ولا حجة بعد الدين في أمر الدين ثم سلهم: أأسلموا فإن أسلموا فقد اهتدوا وليقبلوا ما أنزل الله عليك وعلى من قبلك ولا حجة عليهم ولا مخاصمة بعد ذلك بينكم، وإن تولوا فلا تخاصمهم ولا تحاجهم فلا ينبغي الخصام في أمر ضروري، وهو أن الدين هو التسليم لله سبحانه، وما عليك إلا البلاغ "[٨٧] .

الخاتمة :

هذه جولة سريعة في تفسير الميزان حاولنا فيها جاهدين تسليط الضوء على رؤية العلامة الطباطبائي لمفهوم الإسلام في القرآن الكريم، ومنها اتضحت رؤية شاملة للعلامة في الموضوع تدل على استقراء وتتبع واع للنص القرآنيّ امتاز بها من المفسرين الذين عرضنا آراءهم.

والإسلام هو الدخول في السِّلم ــ بكسر السين ــ وقد اختصّ بالإذعان، بإلهيّته تعالى ورسالة خاتم النبيين (ﷺ) وشريعته وقرآنه المساوق للإيمان بالقلب والعمل

بالجوارح والأركان، فيكون العمل بالدِّين إبقاءً للدين وإعلاءً لكلمة التوحيد، وجهادًا مع الملحدين.

وللإسلام درجات، أعلاها ما كان عليه إبراهيم (عليه السلام)، وأدناها ما عليه عامّة المسلمين، يحفظون بها دماءهم وأموالهم مع ما عليه بعضهم من الفسق والشقاء.

وقد وضح العلامة الطباطبائي معنى الإسلام الواحد بأن الدين عند الله سبحانه واحد لا اختلاف فيه لم يأمر عباده إلا به ، ولم يبين لهم فيما أنزله من الكتاب على أنبيائه إلا إياه ولم ينصب الآيات الدالة إلا له وهو الإسلام الذي هو التسليم للحق الذي هو حق الاعتقاد وحق العمل وبعبارة أخرى هو التسليم للبيان الصادر عن مقام الربوبية في المعارف والأحكام وهو وإن اختلف كما وكيفا في شرائع أنبيائه ورسله على ما يحكيه الله سبحانه في كتابه غير أنه ليس في الحقيقة إلا أمرا واحدا وإنما اختلاف الشرائع بالكمال والنقص دون التضاد والتنافي والتفاضل بينها بالدرجات ويجمع الجميع أنها تسليم وإطاعة لله سبحانه فيما يريده من عباده على لسان رسله .

الهوامش

[١] الصحاح : (سلم) .
[٢] تاج العروس : (سلم) .
[٣] ينظر: الكتاب ٥٥/١، ٦٥، ٢٧٩، ٢٨٠.
[٤] آل عمران : ٢٠ .
[٥] البقرة: ٢٠٨ .
[٦] ينظر: التفسير الكبير: ٢٢٣/٧ .
[٧] آل عمران: ١٩ .
[٨] آل عمران: ٨٥ .
[٩] المائدة: ٣ .
[١٠] الصف: ٧ .
[١١] البقرة: ١١٢ .
[١٢] البقرة: ١٣١ .
[١٣] آل عمران: ٨٣ .
[١٤] النساء: ١٢٥ .
[١٥] غافر: ٦٦ .
[١٦] الجن: ١٤ .
[١٧] الأنعام: ١٤ .
[١٨] آل عمران: ٦٧ .
[١٩] يوسف: ١٠١ .
[٢٠] البقرة: ١٢٨ .
[٢١] يونس: ٩٠ .
[٢٢] يونس: ٧٢ .
[٢٣] الحج: ٧٨ .
[٢٤] الأنعام: ١٦١ ــ ١٦٣ .
[٢٥] النمل: ٩١ .

[٢٦] الزمر: ١٢ .
[٢٧] الحج: ٧٨ .
[٢٨] الأحزاب: ٣٥ .
[٢٩] فصلت: ٣٣ .
[٣٠] الأحقاف: ١٥ .
[٣١] القلم: ٣٥ .
[٣٢] الزخرف: ٦٩ .
[٣٣] آل عمران: ١٨ ــ١٩ .
[٣٤] الكشاف: ١/ ٤١٨ .
[٣٥] التحرير والتنوير: ٣ / ٤٧ .
[٣٦] البقرة : ١٢٨ .
[٣٧] الميزان : ١ / ٢٨٣ .
[٣٨] الآيتان (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ* وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلآئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) آل عمران: ٧٩ــ ٨٠ .
[٣٩] الميزان : ٣ / ٢٧٨ ــ ٢٧٩ .
[٤٠] البقرة : ١٣١ .
[٤١] الميزان : ١/ ٢٨٣ .
[٤٢] المصدر نفسه : ١/ ٢٨٣ .
[٤٣] الحجرات: ١٤ .
[٤٤] الميزان : ٢٨٤/١ .
[٤٥] المصدر نفسه : ١/ ٢٨٣ .
[٤٦] إبراهيم : ٤٠ .
[٤٧] الميزان : ١ / ٢٨٤ .
[٤٨] الشعراء : ٨٧ ــ ٨٩ .
[٤٩] الشعراء : ٨٤ .
[٥٠] الميزان : ١/ ٢٨٥ .
[٥١] مواهب الرحمن : ٥ / ١٦٦ ــ ١٦٧ .
[٥٢] المصدر نفسه : الصفحات نفسها .
[٥٣] المصدر نفسه : ٥ / ١٧٧ .
[٥٤] الكشاف : ٥٦٩/٣ ــ ٥٧٠ .
[٥٥] آل عمران : ١٩ .
[٥٦] آل عمران : ٨٥ .
[٥٧] مجمع البيان : ١ / ٣٩١ .
[٥٨] المصدر نفسه : ٣٩٧/١ .
[٥٩] الحجرات : ١٤ .
[٦٠] البقرة : ٢٢١ .
[٦١] التفسير الكبير : ٢٢٣/٧ .
[٦٢] الحجرات : ١٤ .
[٦٣] التفسير الكبير : ١٣٤/٨ .
[٦٤] هذا البيت مجهول القائل ، وقد استشهد به ابن منظور وشارح القاموس "ق ط ط"، ومن النحاة: الأشموني "رقم ٦٣" وابن الناظم، وابن يعيش "ص٣١٨ و ٤٤٣".
[٦٥] الروم : ٣٥ .
[٦٦] البقرة : ١٢٨ .
[٦٧] محمد : ١٩ .
[٦٨] محمد : ١٩ .
[٦٩] روح المعاني :١١/١٠ .
[٧٠] ينظر: المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
[٧١] ينظر : المصدر نفسه : ١٠٦/٣ .

[٧٢] البقرة : ١٣١ .
[٧٣] المنار : ٣٨٠/١ .
[٧٤] التحرير والتنوير : ١/ ٧٠٦ ــ ٧٠٧ .
[٧٥] كشف المشكل من حديث الصحيحين : ٧٧/٣ ، رقم الحديث ١٣٤٨.
[٧٦] التحرير والتنوير : ٣ / ٤٧ .
[٧٧] الميزان : ٣١٤/١٦ .
[٧٨] الحجرات : ١٤ .
[٧٩] الميزان : ١٨ / ٣٢٨ ــ ٣٢٩ .
[٨٠] التحرير والتنوير : ١/ ٧٠٠ .
[٨١] مواهب الرحمن : ٢ / ٤٥ .
[٨٢] آل عمران : ١٩ .
[٨٣] جامع البيان : ٢٧٣/٦ ـ ٢٧٥ .
[٨٤] ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٤٣ .
[٨٥] الميزان : ٣ / ١٢٠ ــ ١٢١ .
[٨٦] المصدر نفسه : ٣ / ١٢١ .
[٨٧] المصدر نفسه : ٣ / ١٢٢ .

المصادر :

القرآن الكريم

- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيّد محمّد مرتضى الحسينيّ الزّبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق:علي شيري، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- التّحرير والتّنوير، لمحمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر ١٩٨٤م .
- تفسير سورة الحمد، للسيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤هـ)، مجمع الفكر الإسلامي الطبعة الأولى، مطبعة شريعت – قم ، ١٤٢٠هـ.
- التفسير الكبير، محمّد بن أبي بكر الرّازيّ (ت٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، بلا محقّق ولا مطبعة، د.ت.
- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

- الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، لإسماعيل بن حماد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، القاهرة، ١٣٧٦هـ . ١٩٥٦م. ط ٤، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الدّكتور مهديّ المخزوميّ، والدّكتور إبراهيم السّامرائيّ، مؤسّسة دار الهجرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- القرآن في الإسلام، للسّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ (ت١٤١٢هـ) تعريب: السّيّد أحمد الحسينيّ، دار الزّهراء، ط ٢، بيروت، ١٣٩٨هـ .١٩٧٨م.
- الكتاب (كتاب سيبويه)، لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّانية، القاهرة، ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م.
- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر، عباس ومحمّد محمود الحلبي وشركاهم، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٦م .
- كشف المشكل من حديث الصحيحين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: علي حسين البواب ، دار الوطن – الرياض ، د.ت .
- مجمع البيان، لأبي علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، تقديم: السّيّد محسن الأمين العاملي، ط ١، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- مفردات غريب القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
- المنار، للسيد محمد رشيد رضا(ت ١٩٣٥م)، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣ ، ٢٠١١م.
- مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، لعبد الأعلى الموسويّ السّبزواريّ، مطبعة الدّيوانيّ، بغداد، الطّبعة الثّالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م .
- الميزان، للسيد محمّد حسين الطّباطبائيّ (ت ١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، (د. ت).

The Islam in Holly Quran
Inferring Study in Tafseer Almezan

Assistant professor Dr.
Teacher Dr.
Aiad Mohammed Ali Al-Arnawooty
Dhiaa' Fakher Juber
College of Education Ibn Rushid/University of Baghdad

Islam Is to enter the peace and to subject to Allah and the massage of his prophet (P B U H) ,legislation , Quran to believe by heart so the work is by religion to maintain the religion .

Islam have degrees .the highest is for Abraham (P U H) and the lowest is for ordinary people to keep their blood , money in spite of sins of some of them .

The scholar Al-Tabatabee explain the meaning of Islam in that Islam is one for Allah no difference in it and order Allah creatures and explains for them of what Allah introduce of holly books on Allah prophets .It is Islam which is obey the right ,the right of believe and work .it is to subject to the statement issued by God in knowledge and rules that even it was different in quantity and in content in the prophets legislations as in the texts of what Allah says in The Holly Books but it is in reality on order and the difference in legislations in perfection and reduction is without difference and oppositeness and favour among them by degrees .Everybody agrees of it is acceptance and obey for Allah for what Allah wants from the creatures .

The scholar Al-Tabatabee concluded in saying that Islam is the religion of Allah and no differences and doubt by the right minds .No questions as you are Muslim .If they question you in the religion you say I Give my believe to Allah and who follow this is religion and no question after religion and ask them : If they became Moslems ,they take the right way accept what Allah reveal on you and on who came before you and they have no questions on you and no conflict between you .If they leave you don not debate them and conflict , the conflict is not in necessary matters .The religion is for Allah and you have to inform .